الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
عهد الله

الحلقة العاشرة

مقدمة البرنامج...

مؤثرات..

عمر بن عبد العزيز: يا درهم إن لهذا الغلام لشأناً.

درهم: لم أكن أظن يا أمير المؤمنين أن بين غلمان هذه البلاد غلاما يتصف بمثل ما اتصف به هذا.

ابن عبد العزيز: هذا ما يتناقله الناس عنه. وقد أعجبت به من قبل أن أراه مهما تكن قيمة الكلام الذي يقال فيه فلو أن عنده ما يلفت نظر الناس لما كثر الحديث عنه.

درهم: ولماذا لا تسمعه يا أمير المؤمنين؟

ابن عبد العزيز: وكيف أقدمه على من هو أسن منه فإن في وفده شيوخاً ذوي مهابة ووقار.

درهم: هؤلاء الشيوخ أنفسهم لا يجدون ضيراً في تقديمه على أنفسهم.

ابن عبد العزيز: اذاً فأنت تؤكد رأيي الذي كونته عنه قبل أن أراه وأسمع منه.

درهم: بل هو فوق ذلك يا أمير المؤمنين.

ابن عبد العزيز: ابعث إلى هذا الوفد فليقدم علينا.

درهم: وهل ستقابل الوفد بهذا الثوب؟

ابن عبد العزيز: وماذا في ذلك يا درهم؟

درهم: لقد طلبت مني يا أمير المؤمنين أن أقول ما عندي بصراحة وأنا آمن على نفسي.

ابن عبد العزيز: وأنت آمن إن شاء الله. فقل لي إذا ماذا ترى من حالنا ولماذا أشرت إلى الثوب في سؤالك؟

درهم: أما فيما يتعلق بالحال فإني أرى الناس بخير ما عداك وما عداني.

ابن عبد العزيز: وكيف ذلك يا درهم؟

درهم: يا أمير المؤمنين هل تذكر يوم أمرتني وأنت والي على المدينة المنورة أن أشترى لك قميصاً فاشتريته بأربعمائة درهم فلما عرضته عليك ولمسته لم ترض به ولم تقنع وقلت لي: ما أخشنه؟

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

ابن عبد العزيز: صحيح يا درهم.

درهم: ثم ألا تذكر بعد ذلك وقد وليت الخلافة وأمرتني أن أشتري لك قميصاً وألا أغلو في ثمنه. فاشتريته بأربعة عشر درهماً فلما رأيته ولمسته قلت: سبحان الله ما ألينه ثم تساءلت: هل يلبس المسلمون مثل هذا؟

ابن عبد العزيز: أذكر ذلك جيداً.

درهم: يا أمير المؤمنين إني عهدتك قبل الخلافة متأنقاً في ثيابك وطعامك وشرابك والدابة التي تركبها والعطر الذي تتطيّب به. فلما وليت الخلافة رجوت أن أستريح وقد رفعك الله مقاماً عليا. فاذا بك أنت في عناء بينما أصبحت أعمل عملاً مضاعفاً عن ذي قبل.

ابن عبد العزيز: " فترة صمت ثم بصوت متهدج قليلا " اسمع يا درهم إذا كنت قد تعبت من حياتك معي وأنا أمير للمؤمنين فأنت حر لوجه الله تنصرف إلى حيث تريد. أما أنا فدعني فيما أنا فيه حتى يجعل الله لي منه مخرجاً.

درهم: لا والله لا أتركك.. صحيح أنني تعبت. لكن الصحيح أيضا أن بعدي عنك أشد اتعاباً لي من العمل الذي أقوم به.

ابن عبد العزيز: حسن.. فلا تقل شيئاً بعد اليوم عن الثياب التي ألبسها وأشياء الدار التي أملكها..

درهم: أمرك يا أمير المؤمنين.

ابن عبد العزيز: لي بالوفد فإني أحب أن أرى هذا الفتى وأسمع منه.

درهم: " بصوت مرتفع " هذا وفد الحجاز يتقدمه وجهاء القبائل وشيوخها.

أصوات: السلام على أمير المؤمنين.

ابن عبد العزيز: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. من المتكلم بينكم؟

الفتى: " في الخامسة عشرة " أنا يا أمير المؤمنين؟

ابن عبد العزيز: أنت؟ أو ليس بين الوفد من هو أسن منك وأجدر بالكلام؟

الفتى: يا أمير المؤمنين إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه. فإذا منح الله العبد لسانا لافظاً وقلباً حافظاً فقد استحق الكلام. ولو أن الأمور بالسن لكان ها هنا من هو أحق منك بمجلسك هذا.

ابن عبد العزيز: صدقت يا غلام. تكلم فهذا هو السحر الحلال.

الفتى: يا أمير المؤمنين، نحن وفد التهنئة لا وفد الترزئة، ولم يقدم أحد منا إليك رغبة ولا رهبة لأننا قد أمنا في أيامك ما خفنا. وأدركنا ما طلبنا.

ابن عبد العزيز: كم عمرك أيها الغلام؟

الفتى: إذا كان أمير المؤمنين يريد من هذا السؤال أن يقيدني في مرتبة لذاتي من الغلمان فإن من الخير أن أقول له ما هو عمر عقلي.

ابن عبد العزيز: " ضاحكاً " فما هو عمر عقلك؟

الفتى: إنه قد بلغ الأربعين. أما يوم ولادتي وخروجي إلى الدنيا فقد مضت عليه خمسة عشرة سنة.

ابن عبد العزيز: يا درهم.

درهم: نعم يا أمير المؤمنين.

ابن عبد العزيز: ارفعوا الغلام إلى مرتبة أمثاله وقيدوه في خانة الأربعين.

الفتى: لقد أمِنّا بعد خوف وأدركنا ما لم نكن ندركه من قبل حين أخذ الناس يتحدثون عن دين أمير المؤمنين ويقينه. أما الآن فقد أصبح الخبر خبراً وتجربة.

نقلة موسيقية.....

خالد: ألا ترى يا أستاذ مساعد أن ما حكيته لنا هو صورة فريدة لخليفة كان يتحكم بمصير المعمور من الكرة الأرضية ويأتيه الخراج من اقصى حملايا إلى أقصى جبال البرانس في أوروبا؟

مساعد: ومع ذلك فإن ما حدثتكم عنه هو بعض الحقيقة.. ولكي تدركوا أصالة هذا المسلم العظيم لا بد وأن تعرفوا شيئاً عن تصرفاته التي كانت تنبع من فهمه الخاص لعهد الله الذي حمله والتزم له.

خالد: هل صحيح ما يرويه الرواة عن الشاعر جرير وصلته بعمر بن عبد العزيز؟

مساعد: وماذا يقول الرواة يا خالد؟

خالد: يقولون أن جرير مدح عمر بن عبد العزيز رغم ما سمعه من أن وفود الشعراء قد جاءت لتهنئته فلم يأذن لهم وقال لابنه: قل لهم إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم.

مساعد: وبعد يا خالد؟

خالد: وقد جاء في قصيدة جرير قوله:

يا أعظم الناس عند العفو عافية ... وأرهب الناس صولات إذا انتقموا

عبد العزيز الذي سارت برايته ... تلك الزحوف إلى الأجناد فاصطدموا

ما كان من بلد يعلو النفاق بـه ... إلا لأسيادكم ممن عصى لـحـم

عبد العزيز بنى مجداً ومكرمة ... إن المكارم من أخلاقكم شـيم

مساعد: هل أكمل القصة عنك؟

خالد: بكل سرور لا سيما وأنني لا أعلم كل تفصيلاتها.

مساعد: هنا وبعد أن أنشد جرير قصيدته أعطاه عمر بن عبد العزيز أربعة دنانير وقال له: خذها فإنها والله من خالص مالي ثم خرج جرير من عنده يقول: جئتكم من عند خليفة يمنع الشعراء ويعطي الفقراء وإني عنه لراض.

خالد: لكن ألا ترى يا أستاذ مساعد أن تصرف ابن عبد العزيز كان يتعارض مع تصرف النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم مع الشعراء في عصره من أمثال حسان بن ثابت؟ فقد كان يجيزهم ويكافئهم على شعرهم.

مساعد: التعارض ظاهري يا خالد ذلك لأن الشعراء المعاصرين لعمر بن عبد العزيز كانوا يفتقدون روح حسان بن ثابت بالإضافة إلى أن الخليفة الأموي كان لا يرى في هذا المديح مصلحة للدين ولا خدمة للدولة. وقد يخطىء ويصيب في تقديره للأمور لكن المعول عليه هو النية الصادقة التي كانت دليله ومرجعه والنور الذي يهتدي به.

خالد: ألا تحدثنا عن بعض فضائله؟

مساعد: الفضيلة الكبرى يا خالد هي الصدق. ذلك أن الرجل الصادق هو وحده الذي تجتمع عنده كل الفضائل.

خالد: وماذا تقصد بالصدق هنا؟

مساعد: الصادق يا بني هو الذي لا يكذب على نفسه كما لا يكذب على الناس بالطبع ومن يمتنع عليه الكذب أمام نفسه وأمام الناس فهو أشد امتناعاً عليه أمام الله. والصادق لا تغلبه كبرياؤه ولا تنأى به عن الحق شهواته. إنه جلي واضح لا ازدواج في شخصيته ولا غموض في مواقفه ورؤيته للأشياء. يواجه نفسه بما فيها فلا يداريها ولا يتحيز لها.

خالد: وهل صحيح ما روي من قصة عمر بن العزيز مع الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك؟

مساعد: نعم هو صحيح ولعل من المصلحة أن تقصها على إخوانك.

خالد: يقول الرواة أن عمر بن عبد العزيز خرج مع سليمان فالتقى غلمانه وغلمان سليمان عند المساء فاقتتلوا فضرب غلمان عمر غلمان سليمان فشكوا ذلك إلى سليمان الذي أرسل إلى عمر وقال له: ضرب غلمانك غلماني قال: ما جاءني علم بذلك. قال سليمان: أنت تكذب يا عمر. قال عمر: ما كذبت منذ شددت على إزاري وعلمت أن الكذب يضر أهله وأن في أرض الله عن مجلسك هذا لسعة. فتجهز عمر يريد مصر فبلغ ذلك سليمان فشق عليه ودخلت فيما بينهما عمة لهما. قال لها سليمان قولي له يدخل علي ولا يعاتبني فدخل عليه عمر واعتذر إليه سليمان وقال له: يا أبا حفص ما اغتممت بأمر ولا أكربني أمر إلا خطرت فيه على بالي.

مساعد: شكرا يا خالد.. قد يكون هذا الحادث الذي حدثتنا به شيئاً عادياً.. لكنه يتخذ أهمية خاصة لسببين أولهما أنه جرى بين فرد عادي وخليفة عظيم. وثانيهما أنه كشف عن اعتزاز المسلم بأخلاقه ودينه.. والعزة هذه أيها الأبناء لا يتصف بها غير الذين يعتزون حقاً بالعهد الذي عاهدوا الله عليه في أن يكونوا له العباد المخلصين وأن يكونوا به العباد الأعزاء الأقوياء فليس كالمؤمن المحافظ على عهد الله من يستطيع الجمع بين العبودية في إخبائها وخضوعها وذلها أمام الله.. وبين العبودية نفسها في روح الفداء عندها وجرأتها في المواقف وصدقها في الفكر والسلوك أمام الناس.

خالد: وأين الجمع بينهما في كتاب الله؟

مساعد: أما الخضوع والاحساس. بالهوان أمام الله ففي قوله عز وجل {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأرض هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجاهلون قَالُواْ سَلاَماً* وَالَّذِينَ يِبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً* وأما الثانية ففي قوله عز وجل: " {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنفِقُواْ عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ...

موسيقى نهاية.....